الفلسطينية، لكي يؤكد هذا الفهم. فلا مجال، بعد ذلك، للتحدث عن مناورة أردنية معيّنة في ما يتعلق بقراراتها الخاصة بفك الارتباط بالضفة الفلسطينية.

خاتمة

السؤال الذي يُطرح الآن هو كيف يمكن تقويم مسار العلاقات الاردنية ـ الفلسطينية في مختلف مراحلها ؟

وفي معرض الاجابة عنه، لعلّ أول ما يلاحظه المرء هو ان هذه العلاقات لم تنشأ في سياق طبيعي بين كيانين راسخين؛ وان ثمّة محددات خارجية وداخلية فرضت ذاتها على المسار، فجعلته يراوح بين صعود وهبوط، وجعلت طابعه العام هو التعامل من منطلق الشك وعدم الثقة، وبعيداً من الثقة والوئام في معظم المراحل.

○ بالنسبة الى المحدّدات الخارجية، وهي في حالتنا لها الاسبقية، يمكن الوقوف، بسهولة، عند اثر العامل الاستعماري (البريطاني أساساً)، ثم العامل الصهيوني، ومسار الصراع العربي ـ الصهيوني بصفة عامة. فالعامل الاستعماري فرض عنصر الفرقة بين الاردن وفلسطين، متجاوزاً حقائق الجغرافيا والتاريخ والديمغرافيا. والعامل الصهيوني قاد الى ترسيخ الفرقة والشقاق، وأحال أجواء المنطقة الحاوية لفلسطين والاردن الى منطقة صراع ضروس، بكل ما حمله هذا الصراع من سلبيات على المنطقة. اما المحدّدات الداخلية، فتمثّلت في انه، بمرور الوقت، تكرّست مصالح للعنصر الاردني والعنصر الفلسطيني. فالعنصر الاردني، وفي ظل منطق القطرية الذي يحكم العلاقات العربية عموماً، منذ الحرب العالمية الاولى، حرص على الحفاظ على شخصيته وتوطيد معالمها الجغرافية والسياسية والسكانية؛ وفي المقابل، كان على الجانب الفلسطيني، وبحكم المنطق الحاكم ذاته (القطرية العربية)، وبحكم رغبة الخصوم (الصهيوني أساساً) في افنائه جغرافياً وسياسياً وسكانياً، ان يسعى الى الحفاظ على الذات، في رد فعل لما يدور من حوله. ومن هنا برزت مصالح للطرفين في اطار المصلحة العربية العامة، في اطار مواجهة المشروع الصهيوني ـ الاستيطاني.

لقد تفاعلت هذه المحددات بشكل مذهل. فالاستعمار أوجد الفرقة وغرس بذور الصراع في المنطقة ووضع وثائقهما، ورتّب ما يتعلق بهما في ضوء مصالحه. ثم جاء مسار الصراع العربي ـ الصهيوني لكي يوطّد ويعمّق عنصر الفرقة، او التجزئة، ويعزّز الرغبة في الحفاظ على المصالح الذاتية. والملاحظ ان مرور الزمن (عنصر الوقت) لم يخفّف من وطأة هذين المحددين، أي اثر العامل الاستعماري واثر مسار الصراع على العلاقات الاردنية ـ الفلسطينية. وهنا يبرز سؤال تصعب الاجابة عنه في الوقت الحاضر، ويتعلق بالصورة التي كان يمكن ان تكون عليها هذه العلاقات، فيما لو لم يقدّر لهذين العاملين (المحدّدين) ان يتدخلا في المسيرة التاريخية للمشرق العربي ؟

وفي الوقت الحاضر، وفي الاجل المنظور مستقبلاً، من الملاحظ، تماماً، ان الطرف الاردني، وكما هو معلن من خلال سلوكه، يراقب مسار القضية الفلسطينية في اطار اهتمامه بمسار الصراع العربي ـ الصهيوني، وهو يولي عناية فائقة، في هذا الاطار، للمخاوف التي يثيرها المشروع الصهيوني وطموحات اسرائيل التوسعية على وجوده الذاتي، وفي الوقت عينه، فان الاردن لا يغفل تطور العامل الفلسطيني.

ومن المتوقع ان تواجه محاولة تحقيق الدولة الفلسطينية المستقلة على أرض الواقع بمعارضة